

# ندوة: العمارة .. رؤى واستراتيجيات لمواكبة مرحلة إعادة الإعمار

جامعة البعث ٢٤-٢٥ حزيران ٢٠١٩

م.عبير عبد العال

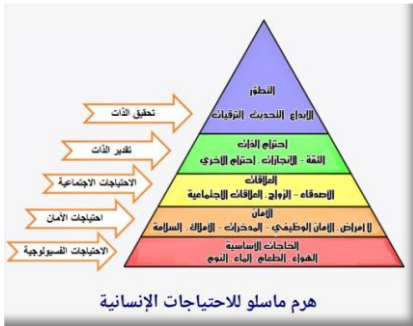
د. ماهر لفاح

عنوان الورقة البحثية:

## البعد الاجتماعي والإنساني لمشاريع إعادة إعمار المدن المتأثرة بالحروب

### أولاً- المقدمة:

تتعرض البيئة العمرانية، ولاسيما المدن، لشتى أنواع الأزمات التي تختلف في شدتها وآثارها على سكان هذه المدن من آثار أمنية واقتصادية واجتماعية وبالتالي عمرانية. ومع انتهاء الخطر وتأمين الاحتياجات الأساسية يبدأ التفكير في ترتيب الأولويات فيما يتعلق بعملية إعادة الإعمار ماديا ومعنويا بعد سنوات الحرب القاسية. في حالات السلم وضمن التحولات التي تعيشها البيئة المبنية قدم "إبراهام ماسلو" رؤيته لاحتياجات الأفراد وترتيبها حسب الأولويات التالية:



١. احتياجات فيزيولوجية

٢. احتياجات الأمان

٣. احتياجات اجتماعية

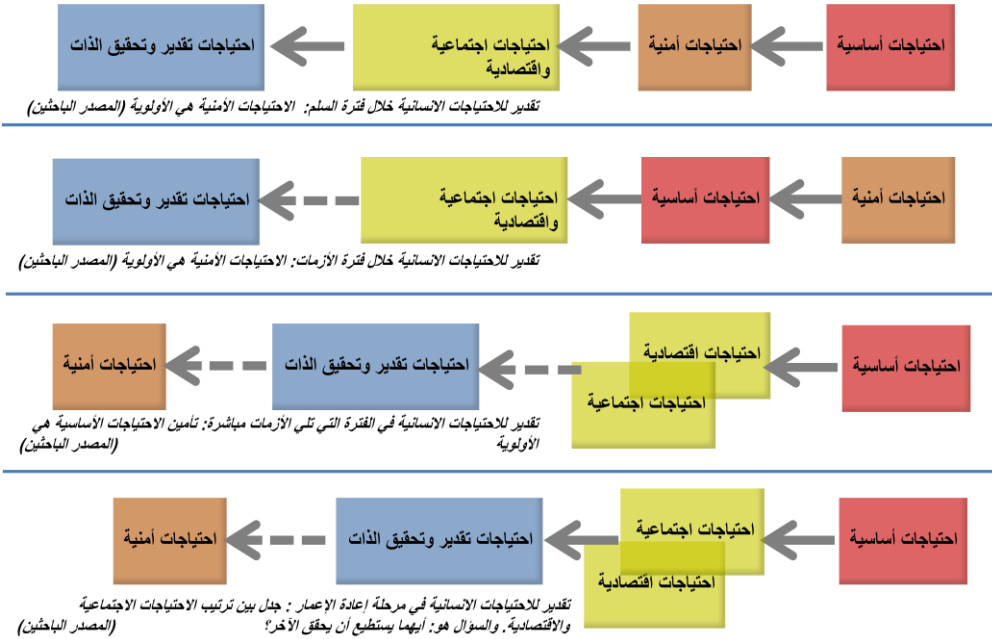
٤. احتياجات إنسانية تتعلق بتقدير الإنسان لذاته

وتحقيقه لأهدافه

وهنا يبرز السؤال التالي:

هل يمكن تبني هذه الرؤية للاحتياجات الإنسانية في أي زمان ومكان؟ وهل تتغير هذه الاحتياجات في ظروف الحرب ومايلبها؟ وماهي العوامل المؤدية لذلك؟

- الإجابة التي يمكن استنتاجها من قراءة تجارب وأبحاث درست شتى أنواع الأزمات التي قد تصل لحد الكارثة والتي أكدت بأن أزمات الأزمات تحتاج لتعديل في هذا الترتيب.



تقدير أولي لطبيعة تبدل الاحتياجات تبعاً لمرحلة قبل وخلال وبعد الأزمات الحروب

المصدر: الباحثين

## ثانياً- تطور مفهوم إعادة الإعمار بعد الحروب عبر الزمن:

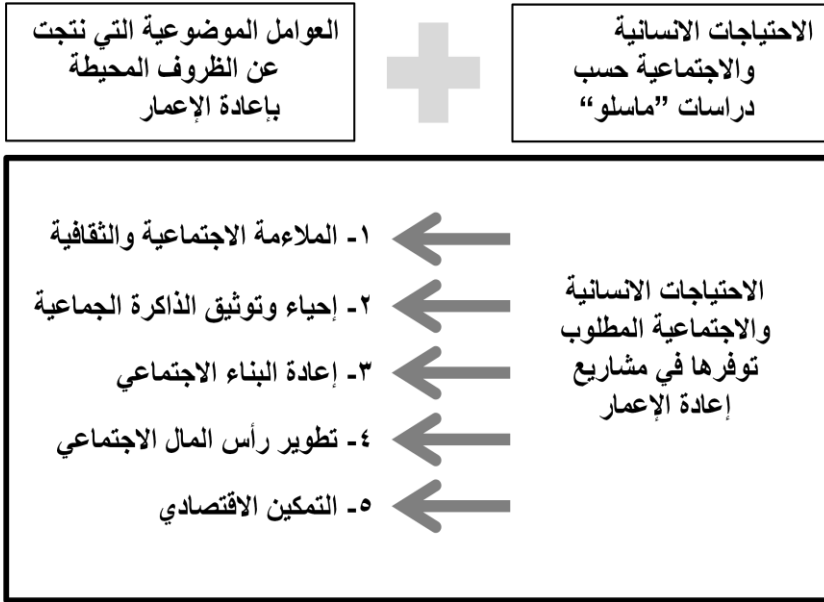
- بعد الحرب العالمية الثانية: تميز مفهوم إعادة الإعمار، لاسيما في الدول الرأسمالية، بالتركيز على البعد الأمني والاقتصادي وعدم الاهتمام بالبعد الاجتماعي (مثال: خطة مارشال: التي أسست لواقع اقتصادي يعتمد على تطوير الصناعة وربطها بالأسواق العالمية). أما في دول المعسكر الاشتراكي فركزت المشاريع على خدمة المجتمع والاقتصاد ضمن المفهوم السائد خلال الفترة المذكورة
- بعد انتهاء الحرب الباردة (١٩٩٠) وتفكك دول المعسكر الاشتراكي: شهدت هذه المرحلة حروب عدة وتميز مفهوم إعادة الإعمار ببداية التفكير بربط البعد الاقتصادي بالبعد الاجتماعي من خلال التركيز على مشاريع إعادة بناء المعالم التاريخية والتراثية (مثال: إعادة بناء الجزء القديم من مدينة موستار - بوسنة والهرسك)
- مع الألفية الجديدة : تغيرت طبيعة الحروب وأسبابها ونتائجها لاسيما الاجتماعية مما أسس لمفهوم تطور من التركيز على الإعمار ماديا ليشمل العامل الاجتماعي والتركيز عليه كأحد أهم المفاهيم المؤسسة لنجاح مشاريع إعادة الإعمار .
- دخول فكرة حماية التراث المادي والمعنوي للشعوب (وليس فقط التاريخي) باعتباره جزء أساسي ضمن عملية إعادة الإعمار (استعادة وتوثيق الذاكرة الجماعية على مستوى الزمان والمكان)
- الاعتماد على العامل الاجتماعي الانساني في مختلف مراحل عملية إعادة الإعمار: تشكيل البرامج، اختيار المشاريع، تحديد الأولويات، صياغة أساليب الإدارة وضبط العلاقة بين مختلف القطاعات: الخاص، العام، المشترك، المانحين الدوليين، المنظمات المدنية.

## بناء على ما تقدم:

تخضع الاحتياجات الانسانية والاجتماعية لتعديلات هامة في الترتيب تبعاً للظروف المحلية والموضوعية وتتأثر بالعديد من العوامل، أهمها:

- التركيبة السكانية
- الطبيعة الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية للسكان
- التشريعات والقوانين التخطيطية المعتمدة في إعادة الإعمار
- قوانين التطوير والاستثمار العقاري
- طبيعة وحجم الأضرار التي أصابت المناطق المراد إعادة إعمارها

إن طبيعة المرحلة تفرض تمييز قيم إضافية تهدف لنجاح عملية إعادة البناء انطلاقاً من تلبية الاحتياجات الاجتماعية كأولوية تمهد لتمكين العامل الاقتصادي وبالتالي يسمح بتأمين الاحتياجات الأخرى ذات المتطلبات الأكثر تعقيداً (تحقيق الذات)



## ١ - الملاءمة الاجتماعية والثقافية:

- على مستوى الموقع العام (تصميم وتخطيط عمراني): يمكن تنفيذ ذلك من خلال اختيار ودراسة التشكيلات العمرانية، تقسيمات الأراضي، الشبكة الطرقية وتوزيع الفراغات المفتوحة وحجمها ونسبتها، نوع ونسبة الخدمات العامة، بحيث تكون هذه الدراسات متلائمة إلى الحد الممكن مع احتياجات ومتطلبات النسيج الاجتماعي والثقافي (العادات والتقاليد)
- على مستوى الوحدات السكنية (تصميم معماري): تتم من خلال تقديم تصاميم معمارية مرنة متعددة الخيارات، تستوعب وتلائم المتطلبات والتفضيلات الاجتماعية المحلية

## ٢ - إحياء وتوثيق الذاكرة الجماعية:

بات من الواضح أن الذاكرة الجماعية لا تقتصر فقط على المفردات المعمارية ذات الطابع التراثي بل تتعداها لتغطي كل ما هو مرتبط بأحداث ومشاهد كان لها دور في المشهد الاجتماعي على المستوى القومي بشكل عام والمحلي بشكل خاص. ويفترض بمشاريع إعادة الإعمار أن تدرك أهمية إحياء وتوثيق والحفاظ على هذه الذاكرة لأن ذلك يعني تقوية شعورهم بالانتماء للمكان وحرصهم على استمراريته ونجاحه ومساهمتهم الفعالة في ذلك. وهذا يتم من خلال تنفيذ مشاريع لمفردات معمارية أو فراغات عمرانية لها دور بارز في ذاكرة السكان المحليين مثل: الحي، المدرسة، الشارع أو الزقاق، محاور التسوق الدائمة أو المؤقتة، معالم عمرانية أو معمارية ... إلخ. ومؤخرا بدأت تنتشر العديد من المشاريع التي تؤسس لتوثيق التراث اللامادي للمجتمعات مما يدعم جهود إعادة الروابط الاجتماعية وتوثيق الصلة بين المكان وسكانه.

### ٣- إعادة البناء الاجتماعي:

ويعني ذلك تطبيق مفهوم "المشاركة الاجتماعية" كمنطلق لصنع القرار وترتيب الأولويات المتعلقة بمشاريع إعادة الإعمار وفي تنفيذ وتشغيل تلك المشاريع

### ٤- تطوير رأس المال الاجتماعي:

رأس المال الاجتماعي مصطلح يدل على قيمة وفعالية العلاقات الاجتماعية ودور التعاون والثقة في تحقيق الأهداف الاقتصادية.

ويتم تطوير رأس المال الاجتماعي لمجتمع مابعد الأزمة عن طريق تطوير وتعميق الصلات الاجتماعية بين مختلف فئات المجتمع وأفراده، ويمكن لمشاريع إعادة الإعمار تحقيق ذلك من خلال مايلي:

- أ- **تقوية الشعور بالانتماء والتماسك الاجتماعي:** حيث يلعب التنظيم العمراني دورا هاما في مجال إدارة وتطوير التجانس السكاني في البيئة المبنية، وخلق فرص اللقاء وتبادل المعارف من خلال التنوع المساحي للوحات السكنية والخدمات والفراغات.
- ب- **الإدماج الاجتماعي:** ويعني اندماج مختلف الشرائح الاجتماعية من السكان في بوتقة واحدة، وتمكين السكان الجدد من المشاركة في المشهد الاجتماعي وتجنب العزلة. ويتحقق تطوير رأس المال الاجتماعي عن طريق العديد من الخطوات منها:
  - **التنظيم العمراني** (طبيعة التشكيلات العمرانية، التوزيع العقلاني للفراغات المفتوحة)
  - **الأنشطة الاجتماعية المتنوعة** (حملات توعية، حملات النظافة والتشجير، الأنشطة المدرسية والثقافية ... الخ).

## ٥- التمكين الاقتصادي:

- إن التماسك والتفاعل الاجتماعي سيؤدي لانتعاش اقتصادي وهذا بدوره سيتترك تأثيرات اجتماعية على السكان تتمثل بتحسين نوعية وجودة الحياة في البيئة السكنية الجديدة.
  - ويمكن تحقيق التمكين الاقتصادي عن طريق: توفير فرص العمل لمختلف فئات القوة العاملة، دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة التي ستساعد فئة الشباب والسكان الجدد على تأمين دخل مناسب لهم.
- بعد عرض للاحتياجات الانسانية والاجتماعية لمجتمع مابعد الأزمة سيتم عرض بعض التجارب التي تناولت وحققت في مشاريع إعادة الإعمار أحد هذه الاحتياجات أو أكثر.

## ثالثاً - تجارب عربية وعالمية:

- ١- تجربة الكويت
- ٢- تجربة مدينة موستار - البوسنة والهرسك
- ٣- تجربة مدينة بيروت: أ- مشروع إعادة إعمار وسط بيروت  
ب- مشروع إعادة إعمار حارة حريك (الضاحية الجنوبية)

١- تجربة دولة الكويت: تعرضت الكويت للغزو من قبل العراق عام ١٩٩٠ ، ثم تم تحريرها عام ١٩٩١. وتسبب الغزو بدمار واسع النطاق في البلاد. لاحقاً، تم تبني نموذج (BOT) في مشاريع إعادة البناء (Build-Operate-Transfer)، وذلك بهدف تحقيق استراتيجية لتشجيع المستثمرين المحليين والشركات المشتركة (محلية أجنبية).

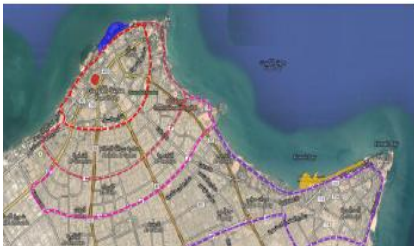
أهم هذه المشاريع:

- استعادة وتطوير الطرق والطرق السريعة لربط الأحياء: لم تكن الأولوية للمواصلات العامة وشبكات المشاة والدراجات ، مما زاد الاعتماد على المركبات الخاصة وأدى إلى تعقيدات متزايدة في الحركة وخلق العديد من الاختناقات المرورية وساهم في تجزئة المجتمع إلى أحياء منفصلة تتباين فئاتها الاجتماعية والثقافية
  - كانت مشاريع الواجهات البحرية، وسكن العمال ، والمنشآت الخدمية والتجارية ، والترفيهية ، ومشاريع معالجة النفايات الصلبة مشاريع جميعها مبنية على مبدأ BOT
  - كبادرة للتمكين الاقتصادي ن من السكان تم تنفيذ أحياء جديدة موسعة للمواطنين متصلة بالطرق السريعة، مع تقديم قروض ميسرة
- مناقشة هذه التجربة على ضوء شمول العامل الاجتماعي ضمن مشاريع إعادة الإعمار:

1. معظم المشاريع كانت ملائمة للمتطلبات الاجتماعية والثقافية المحلية والتقاليد وطبيعة الأنشطة، لكن ذلك لم يتم بناء على مشاركة محلية للسكان، واختصر دورهم بالمتلقي وليس المشارك في تقرير نوع وألويات مشاريع إعادة الإعمار.
2. كان لإضافة مكونات استثمارية (تجارية أو ترفيهية) دور كبير في التمكين



الاقتصادي وجذب رؤوس الأموال المحلية لتنفيذ وإدارة مشاريع القطاع العام. لكن ذلك لم يكن مبني على دراسات دقيقة للاحتياجات المحلية مما أدى لاحقا لحالة من الإشباع والمبالغة، وأضر بالقطاع التجاري والعقاري.





٣. كان لتركيز معظم المشاريع على الوظيفة الترفيهية والتجارية في مواقع يقع أهمها على الواجهات البحرية أثر سلبي على الفاعلية الاجتماعية للمركز التقليدي لمدينة الكويت العاصمة

النتيجة: التجربة استجابت جزئيا لفكرة الملاءمة الاجتماعية والثقافية، كما ساهمت في عملية التمكين الاقتصادي.

## ٢- تجربة مدينة موستار - البوسنة والهرسك:

خلال الأعوام (١٩٩٢-١٩٩٥) وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، دخلت يوغوسلافيا السابقة في حرب قاسية رافقها تدخل العديد من القوى الخارجية ونتج عنها انقسام الدولة إلى ثلاثة دول (صربيا، كرواتيا، البوسنة والهرسك)، وكانت مدينة موستار إحدى المدن التي دمرت بفعل الحرب. ومع تضافر جهود إعادة الإعمار قدم البنك الدولي قروضا هامة لهذا الهدف وتركزت معظم مشاريع إعادة البناء (حتى عام ٢٠٠٤) على المشاريع ذات الطابع التراثي انطلاقا من الاهتمام بالذاكرة التاريخية والوظيفة السياحية المفترض بالجزء القديم من المدينة تقديمها، وذلك بدلا من رصد المشاكل الاجتماعية الناتجة عن الحرب وضرورة تنفيذ مشاريع حضرية تساعد للتوصل إلى إعادة بناء هيكلية اجتماعية متماسكة.



- كان لفقدان الكثير من سجلات الأراضي والمعلومات المساحية أثر بالغ في تشجيع أنشطة البناء غير المنظمة ، والتي ساهمت في تغييرات عشوائية كبيرة في النسيج العمراني في المناطق الحضرية وتدرجيا قام الجزء القديم من المدينة بدور المساحة

العازلة بين نسيجين حضريين منفصلين شكل كل منهما مدينة وساهم بالتالي في تشكيل صورة "مدينتين على جانبي النهر"

حتى ٢٠٠٤ لم تستطع هذه المشاريع إستعادة الحياة للمدينة بل أدت إلى:

- عدم التمكين الاقتصادي وهجرة الشباب مع انعدام فرص العمل ونقص التمويل للمشاريع الصغيرة والمتوسطة.
- مع عدم الاهتمام بالاحتياجات والمشكلات الاجتماعية الحقيقية، بقيت المدينة مجزأة ولم تستعد مختلف الفئات التي اختبرت الحرب قدرتها على الاندماج مرة أخرى في مجتمع مابعد الحرب

النتيجة: التجربة استجابت بشكل محدود لفكرة إحياء الذاكرة الجماعية من خلال ترميم وإعادة بناء مفردات تقليدية وتراثية.

### ٣- تجربة مدينة بيروت - لبنان:

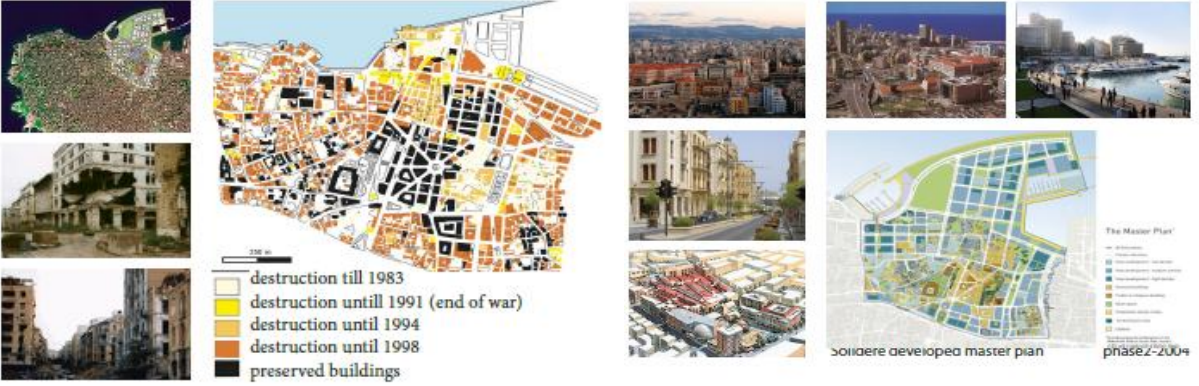
أ: مشروع "سوليدير": مشروع إعادة إعمار وسط بيروت: خلال

الأعوام (١٩٧٥-١٩٩٠):

لبنان بلد عربي على البحر الأبيض المتوسط ، شهد حربًا أهلية طويلة (١٩٧٥-١٩٩٠) الأمر الذي خلق مجتمعًا واقتصادًا ومدنًا مجزأة ، العاصمة بيروت ، التي سميت ذات يوم في عام ١٩٦٠ "باريس الشرق" لم تكن استثناء لهذا الواقع.

- بعد انتهاء الحرب وفي عام ١٩٩٤ ، شهدت مدينة بيروت مشروعًا حضريًا كبيرًا نفذته شركة "سوليدير" من شركات القطاع العام والخاص، وهدف إلى دعم الاقتصاد، وإعادة ربط المدينة المجزأة ، عن طريق ترميم وإعادة بناء وسط المدينة الذي شهد أعنف الأعمال القتالية خلال الحرب.

- ركز المشروع على تلبية احتياجات ومتطلبات السياحة التي تخدم أصحاب الدخل الأعلى من سكان هذه المدينة وزوارها ( فنادق فاخرة، ومراكز تسوق حديثة، ونوادي ليلية...).
- استطاع المشروع خلق مركز عصري متطور ومتنوع الوظائف بمعايير عالمية، لكنه افتقر للهوية المحلية والملاءمة الاجتماعية والثقافية لمختلف فئات السكان. ولم يسعى لدراسة وتلبية الاحتياجات الحقيقية لسكان بيروت بعد الحرب الذين أرهقتهم النزاعات والانقسامات. وبالتالي فشل المشروع في إعادة البناء الاجتماعي وتوحيد أجزاء المدينة المنقسمة، على العكس من ذلك ، فقد خلق منطقة مغلقة في وسط المدينة تهتم بطبقة الأثرياء من السكان والزوار وشجع على نمو مراكز محلية في بقية أجزاء المدينة وأحيائها.
- حاول المشروع إعادة إحياء الذاكرة الجماعية لكنه ركز على المفردات المعمارية التابعة لحقبة محددة من تاريخ المدينة دون غيرها



النتيجة: التجربة حاولت الاستجابة لمتطلب

التمكين الاقتصادي دون مراعاة متكاملة للعامل الاجتماعي والثقافي وكانت انتقائية فيما يتعلق بالفئة الاجتماعية المستهدفة وفيما يتعلق بالمشاريع التي هدفت لاستعادة الذاكرة الجماعية.

## ب- مشروع: ” إعادة إعمار الضاحية الجنوبية - حارة حريك“:

حارة حريك هي جزء من الضاحية الجنوبية في بيروت - لبنان، وفي حرب تموز 2006



تعرض هذا الجزء من المدينة لتدمير البنية التحتية فيه،

وحسب إحصاءات البلدية فقد دمر ما يقارب من 265

مبنى بما فيها حوالي 3119 وحدة سكنية و 1610 وحدة

تجارية، وبصورة عامة فقد تم تقدير أكثر من عشرين ألف

مشرد فقدوا مساكنهم وأصبحوا بلا مأوى

تم إطلاق مشروع إعادة إعمار الضاحية وتميز الجانب الاجتماعي من المشروع بما يلي:

كانت عملية إعادة إعمار الضاحية الجنوبية، تعتمد بدايةً، على معالجة الآثار التي خلفتها

الحرب، بتأمين السكن المؤقت للمتضررين كمرحلة أولى، ثم الانتقال بعدها، إلى المرحلة

الثانية، والتي تقوم على إعادة إعمار وتشبيد المساكن والمنشآت.

تميز هذا المشروع بالمشاركة المباشرة مع أصحاب الحقوق في تصميم بيوتهم، وإبداء رأيهم

في المعالجات والوظائف. حيث أعطي لهم الحق، في التعديل والتغيير، وبالتالي الموافقة،

مما ساعد على تحقيق الملاءمة الاجتماعية والثقافية للمشروع.

وإتسمت السياسة العامة للمشروع بالحفاظ على عناصر ثلاثة:

١. الموقع الطبيعي الذي تقوم عليه البنية أو جزء منها.

٢. شبكة الطرقات التي تقسم الحي لشوارع وأحياء ومجموعات أصغر

٣. شبكة العقارات الموجودة وحجم الملكيات العقارية . اعتماد مبدأ ”لاضم ولا إفراز“

جديد، يساهم في تأخير استلام البيوت والممتلكات، او يُغير معالم النسيج العمراني

والاجتماعي القائم التي يستند إليها المشروع في تثبيت الذاكرة الجماعية للسكان.



فكان الهدف من مخطط التنظيم المدني هو: إنتاج نسيج مدني عصري، رحب، ملائم، يحتضن النسيج الاجتماعي للسكان، كما كان الحال خلال الفترة التي سبقت الحرب. النتيجة: التجربة استجابت لعدة متطلبات:

الملاءمة الاجتماعية والثقافية، ترميم واستعادة الذاكرة الجماعية، إعادة البناء الاجتماعي.

## رابعاً - الخلاصة:

بدأت دول عديدة باعتماد وإعادة تحديد الاحتياجات الاجتماعية لمجتمعات ما بعد الأزمات الشديدة كعنصر أساسي في برمجة وتنفيذ وتشغيل مشاريع إعادة الإعمار بحيث يتوجب دراسة هذه الاحتياجات والسعي لتحقيقها من خلال عملية التنظيم والتخطيط العمراني، كما في عملية التصميم المعماري ...

في سورية وبعد الحرب القاسية التي خاضتها الدولة ضد الإرهاب، لم يأخذ هذا الموضوع الاهتمام الكافي في سياق الإعداد لمشاريع إعادة الإعمار في المدن والمناطق المتأثرة بفعل الحرب، بل يلاحظ بروز توجهات فكرية تركز في هذه المشاريع على الجوانب الاستثمارية والربحية القصيرة الأمد على حساب الجوانب الاجتماعية والإنسانية ( مثال: مشروع إعادة إعمار شرقي المزة في مدينة دمشق، مقترح مشروع إعادة إعمار حي بابا عمرو في مدينة حمص)، هذه الجوانب التي إن أخذت بعين الاعتبار ستؤسس لبيئة عمرانية تحمل كل مقومات النجاح الاقتصادي على المدى البعيد (مثال: الاجراءات التمهيديّة ومسح الوضع الراهن ومشاركة الأفكار الذي يرافق حالياً مقترح مشروع إعادة إعمار حي جورة الشياح في مدينة حمص).